

مستمعي العزيز، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح الخامس من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد تحدث في هذا الأصحاح عن بعض نتائج الإيمان بالمخلص يسوع المسيح، وأهمها السلام مع الله، وإتمام المصالحة معه. وتحدث أيضا عن كيفية دخول الخطية إلى العالم، وذلك عن طريق الإنسان الأول آدم. أما نعمة الله أو هبته فقد ظهرت بواسطة المخلص يسوع المسيح. وكما كانت نتيجة الخطية الموت والدينونة، فإن قبول نعمة الله سيهب الإنسان التبرير والحياة الأبدية. وختم الرسول بولس بالقول: "وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية. ولكن حيث كثرت الخطية إزدادت النعمة جدا." فبالناموس يدرك الإنسان مدى عظم خطاياها، وفي هذه الحالة تتجلى نعمة الله بشكل أعمق وأقوى.

لكن هل هذا يعني أنه كلما يزداد الإنسان بالشر تزداد معه نعمة الله؟ هذا هو التساؤل الذي طرحه الرسول في بداية الأصحاح السادس إذ قال: "فماذا نقول. أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة." وأجاب: "حاشا . نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها." أي أن الشخص الذي تاب عن خطياه أو مات عنها بحسب تعبير الرسول بولس، لا يستطيع أن يعود إليها ويعيش فيها. إذ أنه أصبح في وضع جديد، وحالة جديدة.

ولهذا تابع الرسول بولس في العديدين ٣ و٤ قائلا: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة." قبل أن نشرح معاني المعمودية كما أوضحها لنا الرسول بولس، لابد لنا أن نتحدث عن المعمودية نفسها. فما هي المعمودية؟ ولماذا يمارسها المسيحيون؟

تعني كلمة المعمودية التغطيس بالماء، وهي ترمز للنقاوة والانضمام إلى طائفة ما. ولقد مارس اليهود قديما المعمودية، وكذلك يوحنا المعمدان، وجعلها المخلص يسوع المسيح فريضة في الكنيسة المسيحية. وتعتبر المعمودية في المسيحية علامة على الإنتساب رسميا إلى كنيسة المسيح. وتشير أن الإنسان قد نال غفران الله لخطياه وأصبح خليفة جديدة في المسيح يسوع.

ولكي يدعم الرسول بولس حجته أن الذي اختبر نعمة الله لا يستطيع أن يعيش في الخطية، تحدث عن معاني المعمودية. فأكد أولاً أن المعمودية تعني الموت. أي موت الإنسان القديم في الشخص الذي اختبر خلاص الله، موته عن الخطية. فعندما ينزل الإنسان تحت الماء ويغطس، فهذا يرمز ويشير أنه مات ودفن. وفي المقابل إن خروجه من الماء يشير إلى قيامته من الموت. وهذا يعني أنه مات لنوع من الحياة وقام لنوع جديد، مات لحياة الشر وقام لحياة النعمة والبر، أي صار إنساناً جديداً في المسيح. ولهذا أشار الرسول بولس أن المعمودية ترمز إلى إتحاد المؤمن مع المخلص المسيح في موته وقيامته. فكما قام المسيح غالباً منتصراً هكذا الإنسان الذي يعتمد يقوم مع المسيح في حياة جديدة منتصرة.

وتابع الرسول بولس شارحاً ماذا يقصد في العدد الخامس فكتب قائلاً: "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته". أي أن الإتحاد مع المسيح يجب أن يكون متكاملًا. فهو يبدأ بالموت وينتهي بالقيامة. وأن يعيش الإنسان حياة القيامة، يعني أنه يعيش حياة البر والتقوى ويبتعد عن كل ما هو إثم.

وأوضح الرسول بولس حجته في الأعداد ٦-٨ بالقول: "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية. فإن كنا قد متنا مع المسيح نوؤمن أننا سنحيا أيضاً معه". إن الإنسان الذي يأتي بالإيمان إلى المسيح، ثم يمارس فريضة المعمودية، يعلن على الملأ أنه قد صلب الإنسان القديم. الإنسان المستعبد للخطية والإثم. لا بل يعلن أنه تحرر من عبودية الخطية وسلطانها، لأن إنسانه العتيق قد مات، وصار إنساناً جديداً في المسيح. المسيح الحي المقام والذي يهب الغلبة والإنتصار لكل من يؤمن به.

ودعم الرسول بولس ما ذكره بما حصل مع المخلص المسيح نفسه، إذ كتب في العديدين التاسع والعاشر قائلاً: "عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذي مات به قد مات للخطية مرة واحدة والحياة التي يحيها فيحيهاها لله". لقد إنتصر المسيح في قيامته على الموت، لهذا من المستحيل أن يسود عليه الموت مرة أخرى. وهو مات عن الخطية مرة واحدة، ويحيا الآن حياة القيامة حياة الغلبة والإنتصار.

لكن ماذا يعني هذا الأمر بالنسبة لكل من يؤمن بالمسيح؟ أجاب الرسول بولس عن السؤال بالقول في العدد الحادي عشر: "كذلك أنتم أيضاً أحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا". أي كما مات المسيح، هكذا على المؤمنين به أن يحسبوا أنفسهم أمواتاً بالنسبة للخطية. وفي نفس الوقت أحياء لله في حياتهم الجديدة مع المسيح يسوع.

لكن كيف بإمكان الإنسان المؤمن عمليا أن يكون ميتا عن الخطية ويعيش لله؟ أجاب الرسول بولس عن هذا السؤال في العديدين ١٢ و١٣ بالقول: "إذا لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواتها. ولا تقدموا أعضائكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله." على المؤمن إذن أن لا يستهين برحمة الله ونعمته، وأن يتخذها عذرا ليفعل الخطية. بل على العكس عليه أن يكرس نفسه لنوع جديد من الحياة، هي حياة القداسة والتقوى والبر. فهو إنسان جديد الآن في المسيح.

لكن هل يستطيع المؤمن أن يبتعد عن طريق الشر ويكرس نفسه لله ويسلك في طريق الصلاح والبر؟ بالطبع يقدر لكن ليس بقوته هو بل بقوة الله ونعمته. ولهذا كتب الرسول بولس في العدد الرابع عشر قائلا: "فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة." يبدو واضحا إذن أنه يوجد فرق كبير بين الإنسان تحت الناموس، أي تحت سلطان شريعة الله في العهد القديم، والإنسان تحت النعمة، أي في دائرة نعمة الله. إن الناموس كما ذكرنا في مرات سابقة يكشف حقيقة كوننا أناسا خطاة، لكنه لا يستطيع أن يحررنا من عبودية الخطية. بينما نعمة الله تعطينا القدرة بالروح القدس لكي ننتصر على الخطية. وكنتيجة لذلك فإن الرسول بولس أراد القول، أن الخطية لا سلطة لها على المؤمن المسيحي الذي حصل على نعمة الله وأصبح خليفة جديدة في المسيح يسوع. إذ هو الآن تحت سلطان الله. ولهذا يصبح بإستطاعة المؤمن المسيحي أن يبتعد عن أفعال الخطية، ويسلك في طريق الخير والصلاح. لكن على شرط كما ذكرنا قبل قليل أن يعتبر نفسه ميتا عن الخطية، وأن يكرس نفسه لله.

بعد أن سمعت صديقي المستمع عن نعمة الله العظمى هذه، ألا ترغب أن تحصل عليها أنت أيضا؟ إن الله قادر أن يغفر خطاياك كلها ويجعلك خليفة جديدة. وليس هذا فحسب بل أن يهبك القدرة لكي تحيا حياة الغلبة والإننتصار. فهل تتب وتقبل نعمة الله؟